خطبة صلاة الجمعة 16/ 11/ 2018 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(صلة المحدثين برسول الله صلى الله عليه وسلم)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلا كَبِيرًا ، وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا﴾ [الأحزاب 45].

روى الإمام البخاري عن عطاء بن يسار رضي الله عنه قال: «لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة. فقال: أجل، إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: {يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا}، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعيناً عميا، وآذاناً صما، وقلوباً غلفا»

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب 21].

أيها الإخوة:

بمناسبة دخول شهر ربيع الأول شهر ولادة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ستكون سلسلة الخطب بعنوان: صلة علمائنا برسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لنزداد له محبة ولنجتهد به اقتداء ولنكثر عليه صلاة، صلوات ربي وسلامه عليه.

تحدثت الخطبة الماضية عن صلة الصحابة الكرام برسول الله صلى الله عليه وسلم، وعنوان خطبة اليوم:

صلة المحدثين برسول الله صلى الله عليه وسلم.

أيها الإخوة:

الناظر في تراجم أهل الحديث يجدهم قوماً وقفوا حياتهم لخدمة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم علموا أن الدين قرآن وسنة، وأيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وفهموا أن الوحي وحيان فوحي متلو هو القرآن، ووحي غير متلو هو السنة المشرفة، وخبروا أن الطرق كلها مسدودة على الخلائق إلى من اقتفى أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

من أجل هذا تعلقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم حباً وشوقاً، وطاعة واقتداءً، وذكراً وصلاة عليه صلى الله عليه وسلم.

- فأما حبهم للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له:

فحسبهم أنهم نذروا حياتهم لخدمة الحديث النبوي الشريف، وبذلوا له كل غال ورخيص وجابوا لأجله أصقاع الأرض.

كنت ترى المحدث يسافر من بلد إلى بلد ليأخذ حديثاً واحداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. أخرج الخطيب في الرحلة في طلب الحديث عن سعيد بن المسيب، قال: (إن كنت لأسير الليالي في الحديث الواحد)، قال أحمد بن حنبل رحمه الله: (لم يكن في زمان ابن المبارك أطلب للعلم منه رحل إلى اليمن، وإلى مصر، وإلى الشام، والبصرة والكوفة، وكان من رواة العلم)

وأخرج الذهبي في ترجمة الإمام المسند المحدث أبي الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي من وفيات ثلاث وخمسين وخمسمائة، قال يوسف بن أحمد الشيرازي: لما رحلت إلى شيخنا رحلة الدنيا ومسند العصر أبي الوقت، قدر الله لي الوصول إليه، فسلمت عليه، وقبلته، وجلست بين يديه، فقال

لي: ما أقدمك هذه البلاد؟ قلت: كان قصدي إليك، ومعولي بعد الله عليك، وقد كتبت ما وقع إلي من حديثك بقلمي، وسعيت إليك بقدمي، لأدرك بركة أنفاسك، وأحظى بعلو إسنادك.

فقال: وفقك الله وإيانا لمرضاته، وجعل سعينا له، وقصدنا إليه، لو كنت عرفتني حق معرفتي لما سلمت علي، ولا جلست بين يدي.

ثم بكى بكاء طويلا، وأبكى من حضره، ثم قال: اللهم استرنا بسترك الجميل، واجعل تحت الستر ما ترضى به عنا، يا ولدي تعلم أني رحلت أيضا لسماع الصحيح ماشياً مع والدي من هراة إلى بوشنج، ولي دون عشر سنين، فكان والدي يضع على يدي حجرين ويقول: احملهما.

فكنت من خوفه أحفظهما بيدي، وأمشي وهو يتأملني، فإذا رآني قد عييت، أمرني أن ألقي حجراً واحداً، فألقي، ويخف عني، فأمشي إلى أن يتبين له تعبي، فيقول لي: هل عييت؟ فأخافه وأقول: لا. فيقول: لم تقصر في المشي؟ فأسرع بين يديه ساعة، ثم أعجز، فيأخذ الآخر فيلقيه، فأمشي حتى أعطب، فحينئذ كان يأخذني ويحملني.

وكنا نلتقي جماعة الفلاحين، وغيرهم، فيقولون: يا شيخ عيسى، ادفع إلينا هذا الطفل نركبه وإياك إلى بوشنج. فيقول: معاذ الله أن نركب في طلب أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نمشي، وإذا عجز أركبته على رأسي إجلالاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجاء ثوابه.

فكان ثمرة ذلك من حسن نيته أني انتفعت بسماع هذا الكتاب وغيره، ولم يبق من أقراني أحد سواي، حتى صارت الوفود ترحل إلي من الأمصار.

قال تلميذه يوسف: لما احتضر شيخي أبو الوقت أسندته إلى صدري، وكان مستهترا بالذكر، فدخل عليه محمد بن القاسم الصوفي، وأكب عليه، وقال: يا سيدي، قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«من كان آخر كلامه لا إله إلا الله، دخل الجنة»**، فرفع طرفه إليه، وتلا: ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (26) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: 26، 27] فدهش إليه هو ومن حضر من الأصحاب، ولم يزل يقرأ حتى ختم السورة، ثم قال: الله الله الله. وتوفي وهو جالس على السجادة.

إنّ حبّ المحدثين لرسول الله صلى الله عليه وسلم جعلهم يرحلون من بلد إلى بلد طلباً لحديثه، وربما أصابهم من المرض والفاقة والضر ما أصابهم ولكن حبّهم للنبي صلى الله عليه وسلم وتعلقهم به كان تهون عليهم الصعب وييسر عليهم العسير.

روى الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب قصةَ المحدث الحافظ يعقوب بن سفيان، قال: قال يعقوبُ بن سفيان: أَقمتُ في الرّحلة في طلب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين سنة، وكنت في رحلتي، فقلَّت نفقتي، فكنت أُكْثِرُ من الكتابة ليلاً، وأقرأُ نهاراً، فلما كان ذاتَ ليلة كنت جالساً أنسخ على ضوء السراج –وكان شتاء– فنزل الماءُ الأزرق في عيني، فلم أبصر شيئاً، فبكيت على نفسي لانقطاعي عن بلدي، وعلى ما فاتني من العلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغلبتني عيناي، فرأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم في النوم، فناداني: يا يعقوب، لِمَ بكيت؟ فقلت: يا رسول الله، ذهب بصري، فتحسّرت على ما فاتني، فقال لي: ادنُ مني، فدنوت منه، فأَمرَّ يده على عينيّ، كأنه يقرأُ عليهما شيئاً، ثم استيقظت، فأبصرت، فأخذت كتبي، وقعدت أكتب.

لقد أحب المحدثون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى غلب حبه عليهم وصاروا منسوبين إليه معروفين به، قال الشاعر:

أهل الحديث هم أهل النبي وإن لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا

– وأما طاعة المحدثين لرسول الله صلى الله عليه وسلم واقتداؤهم به:

فقد نقل الذهبي أن أبا داود صاحب السنن، كان يُشَبَّه بأحمد بن حنبل في هديه ودله وسمته، –الهدي حسن السيرة والدل حسن الهيئة والسمت حسن المذهب في أمر الدنيا والدين–، وكان أحمد يشبه في ذلك بوكيع وكان وكيع يشبه في ذلك بسفيان وسفيان بمنصور ومنصور بإبراهيم وإبراهيم بعلقمة وعلقمة بعبد الله بن مسعود، وقال علقمة: كان ابن مسعود يشبه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في هديه ودله.

قَال يحيى بن يحيى النيسابوري: كنت عند سفيان بن عُيَيْنَة أمير المؤمنين في الحديث إذ جاءه رجل فقال: يا أبا محمد، أشكو إليك من فلانة، –يعني امرأته–. أنا أذل الأشياء عندها وأحقرها. فأطرق سفيان ملياً، ثم رفع رأسه فقال: لعلك رغبت إليها لتزداد بذلك عزاً؟ فقال: نعم يا أبا محمد. فقال: من ذهب إلى العز ابتلي بالذل، ومن ذهب إلى المال ابتلي بالفقر، ومن ذهب إلى الدين يجمع الله له العز والمال مع الدين.

وإني لما أردت الزواج قدم علينا مَعْمَر بن راشِد فشاورته، فذكر لي حديث يحيى بن جعدة وحديث عائشة، فأما حديث يحيى بن جعدة: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**تنكح المرأة على أربع:**

دينها، وحسبها، ومالها، وجمالها، فعليك بذات الدين تربت يداك». وحديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**أعظم النساء بركة أيسرهن مؤنة**».

فاخترت لنفسي الدين اقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فجمع الله لي العز والمال مع الدين.

فاقتداء المحدثين برسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعتهم له رفعهم في الدنيا والآخرة.

- وأما كثرة ذكرهم للنبي صلى الله عليه وسلم وصلاتهم عليه:

فحدّث في ذلك ولا حرج، فإن القوم صرفوا وشغلوا أوقاتهم بدراسة الحديث النبوي الشريف ومدارسته، ولم ينفكوا يوماً عن ذكره صلى الله عليه وسلم وكثرة الصلاة والسلام عليه.

ذكر أحد العلماء: قال أبو الحسن بن على الميموني: "رأيت الشيخ أبا علي الحسن بن عيينة في المنام بعد موته، وكأن على أصابع يديه شيئاً مكتوباً بلون الذهب أو بلون الزعفران، فسألته عن ذلك، وقلت: يا أستاذي كأن على أصابعك شيئاً مليحاً مكتوباً، ما هو؟ قال: يا بني! هذا لكتابتي لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو قال لكتابتي صلى الله عليه وسلم في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم".

وقال سفيان الثوري: (لو لم يكن لصاحب الحديث فائدة إلا الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يصلى عليه ما دام في ذلك الكتاب "صلى الله عليه وسلم").

وبعد أيها الإخوة:

هذا شيء من صلة علماء الحديث بالنبي صلى الله عليه وسلم وتعلقهم به:

يحبونه ويشتاقون إليه، ويطيعونه ويقتدون به، ويكثرون ذكره والصلاة عليه.

فإذا كان هذا حال أؤلئك الأعلام فما عسانا نفعل لنزداد قرباً من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلقا به؟

أقترح عليك أربعة أمور:

1- اقرأ شيئاً من حديثه صلى الله عليه وسلم وسيرته واحفظ شيئاً من الحديث.

2- الزم ورداً يومياً بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، واحضر مجلساً للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مرة كل أسبوع.

3- طبق ما استطعت من سنته.

4- اصحب من أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56]

والحمد لله رب العالمين